حقيقة الألوهية

..... يقول: إذا فهمت ذلك فَتَأَمَّلِ الألوهية، التي أثبتها الله -تعالى- لنفسه. تأمل الألوهية. اعلم أن الألوهية: هي التأله الذي هو التعبد. وأن الله-تعالى- نفاها عن كل ما سواه، نفاها عن محمد وغيره من الأنبياء، ونفاها عن جبريل وغيره من الملائكة، وأخبر بأنهم جميعا ليس لهم منها مثقال حبة من خردل؛ بل كلها لله وحده، يعم ذلك جميع أنواع الألوهية. إذا عرفنا أن الإله: هو الذي تألهه القلوب. تألهه القلوب.. محبة، وعبادة، وخضوعا، وإنابة. وأن هذا هو حَقًّا تعريف العبادة التي هي مُشْتَقَّةٌ من التعبد، والتي ذَكَرَ معناها ابن القيم -رحمه الله- في النونية بقوله: وعبادةُ الرحمن غَايَةُ حُبِّهِ مع ذُلِّ عابده هما قُطْبَانِ وعليهما فلك العبادة دائرٌ ما دار حتى قامت القطبانِ ومداره بالأمر أمرِ رسوله لا بالهوى, والنفس, والشيطانِ هذه هي العبادة، وهي الألوهية. الإله: هو الذي تألهه القلوب.. محبة، وخوفا، وخضوعا. ويفسرون العبادة بأنها: غاية الحب مع غاية الذل. أن يكون محبا لله تعالى، ومتذللا بين يديه. غاية الحب مع غاية الذل. فإذا تخلف واحد منهما تخلف وَصْفُ الألوهية، فالذين يتعبدون؛ ولكنهم لا يحبون معبودهم، يعني: يكرهونه، لا يُوصَفُون بأنهم جعلوه إلها، ولا أن أفعالهم عبادة؛ وذلك لتخلف أثره -أثر العبادة- الذي هو الحب، الذي يدفعهم إليه إحسانُه، وإنعامُه، وفَضْلُهُ على عباده. وإذا تخلفت العبادة، وادعى الحب، لم يكن الحب صحيحا. فالذين يحبون الله؛ ولكن لا يتواضعون له، ولا يتضرعون، ولا يخشعون بين يديه، ولا يدعونه، ولا يرجونه، ولا يعتمدون عليه، ولا يركعون له، ولا يسجدون له!! هؤلاء ليسوا -أيضا- ممن اتخذه إلها. فالتأله: هو التَّحَبُّبُ، والتودد، والتواضع، والتذلل، والإنابة، والخضوع، والخشوع، وما أشبه ذلك؛ لذلك يصدق عليهم أنهم اتخذوا الله -تعالى- إلها، فمن صرف من هذه الأنواع شيئا لغير الله فقد أشرك، أشرك بالله؛ ولو شيئا يسيرا، لا يملكون من الإلهية مثقال حبة من خردل. الخردل: شجر معروف كبير، وحبه أصغر من حَبِّ الدخن، معروف؛ فَيُمَثِّلُ الله - تعالى – بها -بحبة الخردل- قال تعالى: { وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } وقال تعالى: { وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ } . فمعنى ذلك: أَنَّ كل من سوى الله من الآلهة -التي تسمى آلهة- لا يصلح أن يُصْرَفَ لهم شيءٌ من الإلهية؛ ولو شيئا يسيرا؛ ولو كانوا ما كانوا؛ ولو كانوا أنبياء، ورُسُلًا، وملائكة، وأولياء، ونحوهم؛ وذلك إشارة إلى أن هناك من جعل مع الله آلهة أخرى، قد يكونون أَقَلَّ من الأنبياء، وأَنْزَلَ قدرًا منهم.